

مقاربة بين مقاليتين حول البعد العقدي والإيماني عند النورسي

The Doctrinal and Belief Dimension in Nawrisi's Writings

د. حسام الدين مخلوف^{1*}

د. نادية سماحي² - مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

¹ جامعة باتنة 1 houssemeddinemakhlouf@gmail.com

² جامعة باتنة 1 arijnadine@yahoo.fr

تاريخ الارسال	2019/12/25م	تاريخ القبول	2020/02/30م
---------------	-------------	--------------	-------------

ملخص

يُعتبر البعد العقدي والإيماني الأساس الذي يقوم عليه الإسلام، والمحرك الرئيس لمفردات الشريعة والأخلاق. وفي ضوءها تتشكل تصوّرات المسلم حول المفاهيم الكبرى التي ترسم مساره في الحياة الدنيا وتضبط مسلكه، ومجمل النشاطات الإنسانية ما هي إلا ترجمة لحقائق العقيدة ومقتضيات الألوهية حتى يرتقي المسلم بذاته روحياً وفكرياً وأخلاقياً إلى مدارج السُّمو والرِّفعة، ونظراً لأهمية هذا البعد في حياة المسلم وتعلُّقه بالمصير الإنساني جاءت هذه المقاربة بين مقاليتين ماتعتين حول حقيقة هذا المفهوم عند الإمام النورسي وذلك من خلال رؤية معرفية تحليلية قدمها لنا بعض الأساتذة المفكرين.

الكلمات المفتاحية: النورسي؛ الأبعاد؛ العقيدة؛ الإيمان؛ الإنسان؛ الفكر

Abstract

The doctrinal and belief dimension is the foundation upon which Islam is based and the main incentive of the vocabulary of Sharia and ethics. Accordingly, major concepts of the muslim perceptions which draw his track and control his way in this worldly life are formed. The entirety of human activities is nothing but a translation of the realities of faith and requirements of the deity so that the Muslim ascends himself spiritually, intellectually and morally to the runways of transcendence and sublime. In view of the importance of this dimension in the life of a Muslim and his attachment to human destiny, the present study is an approach between two articles dealing with the essence of this concept according to Imam Nawrisi through an analytical cognitive vision presented to us by some intellectual thinkers.

Keywords: Nawrisi; dimensions; creed; faith; man; thought

1. مقدمة

إنَّ البعد العقدي يُعتبر الأساس الذي يقوم عليه الإسلام، لأنَّ العقيدة هي القاعدة الكبرى التي تتأسَّس عليها حياة المسلم، وهي المحرك الرئيس لمفردات الشريعة والأخلاق، وفي ضوءها تتشكَّل تصوُّرات المسلم حول المفاهيم الكبرى التي ترسم مساره في الحياة الدنيا وتضبط مسلكه. ومجمل النشاطات الإنسانية ما هي إلاَّ ترجمة لحقائق العقيدة ومقتضيات الألوهية حتى يرتقي المسلم بذاته روحياً وفكرياً وأخلاقياً إلى مدارج السُّمُوِّ والرِّفْعَةِ، ونظراً لأهمية هذا البعد في حياة المسلم وتعلُّقه بالمصير الإنساني، كان بديع الزمان سعيد النورسي[†] مهتماً به غاية الاهتمام، بل وسخَّر لسانه وقلمه ونفسه لتبيين وتقرير هذا الأمر، وذلك عائد إلى الزمن الذي عاش فيه، فقد حاول أن يساهم في رد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً، ومن ثَمَّ تحقيق السعادة في الدارين، لذا سَاحَول أن أقف من خلال هاتين المقاليتين على حقيقة هذا المفهوم عند الإمام النورسي وأُسلِط الضوء عليه من خلال رؤية معرفية يطرحها الدكتور أحمد الشفيع الماحي في مقال له بعنوان "البعد الإيماني في فكر النورسي" وقد نُشِرَ المقال بمجلة الشريعة والدراسات

[†] هو بديع الزمان نور الدين سعيد النورسي، أحد أبرز العلماء العاملين، والمفكرين المجاهدين، ولد في قرية نورس ببلاد الأكراد في فترة الخلافة العثمانية سنة 1877م، حفظ القرآن الكريم والكثير من المتون والكتب في كل الفنون وهو صغير، ففاق بذلك أقرانه وبدأ يناظر العلماء ويناقشهم في كثير من القضايا، ولهذا سُمِّيَ ببديع الزمان اعترافاً بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع، شهد تغيرات حضارية هائلة، وسقوط الخلافة وظهور الكثير من الفتن، تعرَّض لكثير من المضايقات والاعتقالات فألَّفَ رسائل النور وهو من سجن إلى آخر، توفي _رحمه الله تعالى_ في رمضان سنة 1960م. (انظر: ترجمته في موقع المكتبة الشاملة)

<https://shamela.ws/index.php/author/40>.

الإسلامية التي تصدر عن مجلس النشر العلمي بدولة الكويت، وهي مجلة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية، وهو في عددها التاسع والثلاثين من شهر ديسمبر 1999م، وكان المقال في تسعة عشر (19) صفحة، اعتمد فيه الكاتب على زهاء سبعة عشر (17) مرجعاً.

والمقال الثاني للدكتور عبد المجيد النجار بعنوان: "البعد العقدي لبنية الإنسان في فكر النورسي" وهو مفكر إسلامي كبير من تونس وهو من مواليد 1945م يكتب في العقيدة والفلسفة والفكر الإسلامي من أهم كتبه: "خلافة الإنسان بين الوحي والعقل"[‡]، والمقال نُشر بمجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية في يناير 2012م، في عددها الخامس، وهي مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم، وكان هذا المقال في ستة عشر (16) صفحة واعتمد فيه الكاتب على ثلاث وعشرين (23) مرجعاً.

1. البعد الإيماني في فكر النورسي.

افتتح الدكتور الشفيق الماحي هذا المقال بمدخل لخص فيه طبيعة الواقع الذي كان يعيش فيه النورسي، حيث كان الإيمان فيه هو المستهدف الأول، ومحاولة تغييبه عن معترك الحياة هو إهدار لقيمة الوجود الإنساني، لذا يستعرض الكاتب مركزية هذا المفهوم في فكره، وهو يكشف عن قيمة هذا النور الذي تنعكس آثاره على الإنسان والوجود، والمتأمل في خطابه يرى أن هذا الإيمان يحتاج في نظره إلى كثير من المجاهدات للترقي. لذا كانت رسالته لأهل زمانه تهدف إلى إصلاح الذات وتعميق روح الإيمان فيها حتى تستعلي في مدارج الكمال. ثمَّ عرض

[‡] انظر، عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1987م)، ص55.

الكاتب الرؤية الإيمانية بأبعادها الكبرى التي شكلت محوراً مهماً في كتابات النورسي، حيث أبرز حقيقة هذا المفهوم عند هذا المفكر ومعاله الكبرى. ثم ناقش تجليات هذا النور على صفحة الإنسان والكون، ثم ذكر مظاهر هذا الإيمان وتجلياته الكبرى في مسلك الحياة، وارتباطاته العميقة بالمحبة الإلهية حتى يصحح الإنسان نسبته إلى الله تعالى، وفي الأخير كشف عن ثمرات هذا الإيمان كما يراها النورسي وانعكاساتها الإيجابية على المصير الإنساني الذي يمثل الهدف الأسى للظفر بالخلود الأبدي، ثم خلاص إلى أهم النتائج التي توصل إليها من خلال هذا البحث. (أحمد الشفيع، 1999م، ص2_ص10).

والمأمل في هذا المقال يدرك قيمة الجهد المبذول والمحاولة الجدية التي اتسمت بالدقة والمنهجية في عرض الأفكار حول طبيعة هذا المفهوم الذي يشكل حيزاً كبيراً في فكر النورسي، واهتماماته الروحية ومنطلقاته الإصلاحية، وسوف أُجَلِّي _ إن شاء الله _ أهم النقاط التي ناقشها الكاتب موضعاً من خلالها أبعاد الفلسفة الإيمانية عند النورسي.

أولاً: الإيمان في مفهوم النورسي:

كشف لنا الكاتب من خلال رؤية النورسي عن طبيعة العلاقة بين الله والإنسان، حيث ارتبطت الخلائق برابطة الانتساب إليه تعالى، ثم رفع مخلوقاته من علاقة المخلوقية إلى علاقة أخص يترقى بها في سلم الحياة ففضّل بنعمة التكليف، كما أوضح الكاتب أن الله عرض التكليف على خلقه بطريقتين:

- التخيير

وهذا خصت به المخلوقات الحية كالحیوانات والجمادات التي انتسبت إلى الله نسبة لا ذاتية جعلت حركتهم في الوجود تحت تصرف الله وقهره وإرادته وقدرته[§].

2- الإلزام

وهذا خص الله به الملائكة والجن والإنس، حيث ألزم الملائكة والجن أن يظهرُوا ذاتيًا في القبول والانتساب إليه بدون اختيار، وأما في حق ابن آدم فقد أخذ التكليف بعداً آخر، حيث جعل فيه سعة من الاختيار، وبهذا الإيمان الاختياري ينتسب إلى الله تعالى، وفي ضوئه تتحدد أسس العلاقة بينه وبين الله، وبناءً على ما تقدم فإن هناك تعدد في صور الانتساب إلى الله تعالى، منها اضطراري فطري، ومنها اختياري، لذا عُدَّ الإنسان أصلاً للتكليف فيكون مؤمناً ومكلفاً، فيطلق عليه لفظ المؤمن في حال الانتساب والمكلف على فرض الاضطرار، وهنا يكشف الكاتب عن هذه الرؤية النورية في حقيقة هذا الانتساب إذ لولا هذا الاختيار لضاع سر التكليف والغاية من الامتحان، لذا يفرق بين الذين انتسبوا إلى الله عن طريق الاختيار وبين الذين أسقط منهم الاختيار فأصبحت علاقتهم بالله استنادية وليست انتسابية. هذا الذي جعل الإنسان يكتسب قيمة سامية لأنه يجلي آثار

§ انظر، توشيهكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، تحقيق: هلال محمد الجهاد، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م)، ص127.

الصنعة الإلهية مما يؤهله للجائزة الربانية (الجنة)، لأنه قفز عن الخلق بسرّ هذه الوصلة التي بها تتحقق صفة العبودية**.

ويقابل النورسي هذا بصورة الكافر الذي رفض بمحض إرادته أن ينتسب إلى الله إلا بوصف المخلوقية وهذه إسنادية قهرية، ثم كشف عن نظرة النورسي العميقة للكفر حيث اعتبره الأساس في تهديم الماهية الإنسانية، كما يعطيه أبعاداً خطيرة منها التحقير للمخلوقات الأخرى إذ بكفره يهتمها بالعبثية، وهي مكونات وجودية ذات مغزى وهدف، بل هو جناية كبرى لأن الكافر رفض العلاقة مع الله تعالى، وبهذا جعل الوجود مجالاً لممارسة العبث في الكون، وفي هذا النظر السطحي انهيار لمقومات الوجود، كأنه مخلوق شاذ لم يعد يملك أهلية الترقى بأبعاد إنسانيته على المخلوقات الأخرى، ثم يصل بنا الكاتب إلى أن الإنسان سواء اختار الإيمان أو الكفر فهو في حركة حرة يحدد من خلالها الجهة التي يستند إليها في وظيفته ودوره.

ثانياً: نور الإيمان

يؤكد الكاتب أنّ للإنسان نوعين من الكمال

أحدهما نوعي والآخر وظيفي، وذلك لأن للروح حركتين في البدن

- حركة تحقق فيه الروح للإنسان كماله النوعي وذلك حين تتأصل صلة الروح بالنفس، فتتعلق النفس بالبدن تعلق التصرف والتدبير، ومنه تنشأ الحياة والحس والحركة والإرادة.

- حركة ثانية تأصلت فيها صلة الروح بالنفس لتتأهل النفس لاستقبال الوحي الإلهي، هذا الذي يؤهلها للتلقي عن الله (العلم والمعرفة) وهما أساس الكمال الوظيفي. (أحمد الشفيع، 1999م، ص2_ص5)

** انظر، عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن، (د.م: نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط،

د.ت)، ص16-17-19.

لهذا جمع الله في الإنسان ما فرّقه على الخلق كلّهم، وسَمَّى الله الوحي روحاً لتوقف الحياة عليه، ونوراً لتوقف الهداية به، وهذا كلّهُ اجتمع في الإنسان، لأن الحياة بقوة الروح صارت نوراً إلهياً به يحس ويدرك ويتعلم، فشغلت في القلب محل الإيمان، واشتركت معه في صفة النور. كما أبرز الكاتب أنّ نور الإيمان يتحقق بالعبودية وليس بالخلافة، وبصفة المكلف حيث تتجلى على قلبه صفات الله وجلالها، فيصبح قلبه مرآة تنعكس فيه معانيها، فتزيده إشراقاً ونوراً وبهذا الإيمان يكشف الإنسان عمّا في باطنه من كنوز حكيمية إلى أن يلقي مصيره ويصبح الموت تمهيداً للحياة الأبدية الخالدة، ثم يصور النورسي حياة الكافر الذي ترتبط ذاته بالفراق الأبدي، وما يُولّده هذا الإحساس من اليأس. ونظرة المؤمن تُولّد فيه فكراً نيراً مشرقاً، وتجعل حركاته وأنفاسه بعمر الحياة ممتدة في كل زمان ومكان.

ثالثاً: مظاهر الإيمان

بيّن الكاتب أنّ كلّ مخلوق خُصّ بتحقيق غرض معين ليبلغ الكمال، والنسبة الاختيارية أدخلت عنصراً جديداً في المعنى الذي يتحقق به كمال المخلوق، مما أدى إلى دخول عنصر التفاضل والشرف، بهذه الحركة الاختيارية يحقق المعنى الذي يريده والصفة المخصوصة التي يتطلع إليها، وبهذا يظهر المعنى والصفة معاً، فبخلافته حقّق المعنى الذي لأجله خلق، ولكن وصف العبودية رشّحه للكمال فينال من الشرف ما لا يناله من النيابة عنه^{††}.

^{††} بدیع الزمان سعید النورسی (قراءة جديدة في فكره المستنير)، تأليف جمال الدين فالح الكيلاني بالاشتراك مع زياد حمد الصميدعي، - الناشر دار الزنبقة - القاهرة 2013، ص 2-3.

رابعاً: ذروة الإيمان

وضَّح الكاتب أنَّ قَمَّةَ الإيمان تتجلى إذا أقام الإنسان هذه العلاقة على أساس حب الله تعالى، ومن هنا فإنَّ البلاء لا يصيب به الله المكلف إلاَّ ليمتحن محبوبه الذي ارتبط معه بهذه الوصلة حتى يظهر فضيلته، ويسمو بهذا الامتحان في إيمانه فيرتفع مترقياً إلى أعلى المقامات. إنَّ مكُونات الكون الظاهر مُصَمَّمة على نمط يُنتج الشُّكر ويُفضي إليه، فكيف بهذا الإنسان المنتسب إلى الله بوصلة حبٍّ. وما الشكر إلاَّ تذكُّر خالص يراه المؤمن بعين الفؤاد ليؤدِّي به حقَّ المنعم.

خامساً: إنَّ الغرض من التكليف هو إيصال الإنسان إلى بَرِّ الأمان ونهاية المطلوب وتخليصه من المحذور، ولا ينال هذا إلا بعد اختياره مرحلة العبادة التي انقاد فيها لله تعالى، وتُنال المنفعة بحسب عبوديته في الدنيا، وما هذا التناسق في وحدات الكون إلاَّ دلالة على حياة أخرى، ثمَّ أثبت النورسي من جهة العقل والحكمة والاستقراء ضرورة اليوم الآخر، لأنَّه لا عبث ولا إسراف في الخلق، وعدم مجيء الآخرة معناه سقوط هيبة السلطة السرمدية، واتهام كمال الربوبية بالعجز والقصور. وهذا باطل ومحال وممتنع وخارج عن دائرة الإمكان. لأنَّ السعادة الأبدية من مقتضيات الرحمة الإلهية. (أحمد الشفيع، 1999م، ص5_ص10)

2. البعد العقدي لبنية الإنسان في فكر النورسي

استهلَّ الدكتور عبد المجيد النجار مقاله بأنَّ المذاهب الحديثة وأي حركة تغييرية يتعلق نجاحها بمدى فهم حقيقة الإنسان لأنه المادة التي تعالجها، وبناءً عليه لا تزال هذه المعرفة تقوم على نحو تلقائي غير مؤسس على رؤية صحيحة وشاملة، وإن كانت المذاهب الغربية تسعى إلى تأسيس ما يُسمَّى بعلم الإنسان انطلاقاً من رؤيتها الفلسفية، وبالمقابل فإنَّ الحضارة الإسلامية وإن كانت تقوم على تصور عقدي لحقيقة الإنسان ولكنَّه لم يُبنى على رؤية منهجية وعلمية. لذا

يرى أنّه من الضروري إعادة تأسيس علم للإنسان من منظور إسلامي، وهذا يحتاج إلى التنقيب في التراث الحضاري للأمة لما اشتمل عليه من إشارات تسهم في تشكيل معالم وأسس هذا العلم، وتعيد صياغة هذا العلم في ضوء الرؤية القرآنية ببعدها الكوني والإنساني، ومن بين الذين أسهموا في ذلك الإمام النورسي الذي كشف عن بنية الإنسان في دلائلها العقدية، فما هي العوامل والموجهات التي دفعته إلى البحث في هذا الموضوع؟ ثمّ انتقل الكاتب إلى الكشف عن البعد العقدي للتكوين الإنساني من خلال إبراز ملامح هذا المنهج مع نماذج تطبيقية، ثم ناقش الأبعاد العقدية للكينونة الإنسانية، ودلائل هذا التكوين على القيمة الإنسانية والبعد الأخروي. مُختتماً هذا المقال بضرورة الاهتمام بمنهج الإمام النورسي في التقرير العقدي لمفهوم الإنسان ليكون مرجعاً تنبني عليه سائر النظم في نطاق مشروع النهضة الحضارية.

أولاً: العوامل والموجهات

هناك العديد من العوامل التي دفعته للتركيز على البناء الإنساني ورسم تصوراتهِ والتي عكستها رسائل النور، وخطبه التي جَلَّتْ مركزية هذا المفهوم عند النورسي مما يعكس أنه كان يهدف إلى تأسيس رؤية إسلامية متكاملة حول حقيقة الإنسان. (النجار، 2012م، ص2_ص10).

وتتمثل هذه العوامل فيما يلي

1- نزعتة الصوفية العميقة التي تعكس ثراءه الروحي الذي ولّد فيه جسّ الإنساني، فكان الإنسان في نظره هو مركز الكون الذي تتجلى فيه الصفات الإلهية^{††}.

2- اهتمامه بالإصلاح والإرشاد الذي يستهدف الذات الإنسانية، وذلك من خلال التعمق في فهم حقيقة الإنسان ليكون ذلك منطلقاً للإصلاح الذي يسهم في نهضة الأمة الإسلامية. ثم التصدي للهجمة الثقافية الخطيرة لمحاولة سلخ الأمة عن جذورها الحضارية من قِبَل الاستعمار بأبعادها الفلسفية والمادية في غاياتها وأهدافها، فضلاً عن هذا ما عاشه النورسي من كوارث الحرب العالمية وما طاله من مأساها.

ثم كشف الكاتب عن الموجهات التي حدّدت معالم تصوراتهِ حول الإنسان وهي كالآتي:

الموجه الأول

لقد كان يستند النورسي في فهم أبعاد الإنسان وحقيقته على المرجعية الإسلامية، وعلى أساسها بنى معرفته، وما جاء في رسائل النور يعكس هذه الحقيقة^{§§}.

الموجه الثاني

†† الأنصاري، فريد، بديع الزمان سعيد النورسي من برزخ التصوف إلى معراج القرآن جامعة موالي إسماعيل - مكناس المغرب، بحث أُلقي في الورشة العلمية التي أقامتها مؤسسة الثقافة والعلوم بإسطنبول حول التصوف وسعيد النورسي في 16 - 17 / 07 / 1001. ص 2-6.

§§ انظر، اليوم الآخر في رسائل النور، دراسة نقدية، آلاء يوسف جمعة المصري، إشراف نسيم شحدة ياسين، بحث ماجستير بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة. 2017.

التخلف الذي كان من أكبر المعوقات الذاتية للمسلمين من أجل تحقيق وثبة حضارية نتيجة للشعور بالهزيمة النفسية، وغياب عنصر الاعتداد بالنفس الذي يحمل على تغيير الأوضاع والانطلاق للبناء.

الموجه الثالث: انحراف الحضارة الغربية وتشوهات الفكرية في معرفة حقيقة الإنسان، حيث اختزلته في بعده المادي فقط، مما جعل النورسي يعيد النظر في هذه الطبيعة ببعديها المادي والروحي، واستظهارها للعالم، وإعادة تأصيلها في الوعي الفكري، وهو يراوح بين الثقافة الغربية والإسلامية. (النجار، 2012م، ص2_ص5).

ثانياً: البعد العقدي للتكوين الإنساني

أولى النورسي أهمية بالغة للتكوين الإنساني في أبعاده المادية والروحية، وتتمثل ملامح هذا المنهج في نظر الدكتور عبد المجيد النجار في الربط المستديم بين آيات التكوين في طبيعة الإنسان الجسمية والروحية والدلالات العقدية لتلك الآيات، حيث أضحى هذا التكوين رمزاً، قيمته ليست في ذاته، بل فيما يرمز إليه من أبعاد عقدية. والغرض من هذا الربط حتى يصبح ثقافة أصيلة في تصور المسلم، فيستحضر أبعاده الغيبية ليرتقي في تصرفاته ويربطها بأبعادها العقدية. لأنّ هذا الربط يجعله ينظر لنفسه بعين التعظيم حتى يشعر برفعة ذاته وينتفض من عناصر الانهزامية ويتجاوز العطالة وهذا يعكس أنّ النورسي حاول أن يعالج واقعاً منهزماً حضارياً، حيث اتبع منهجية الربط بين الظاهر المشهود والغيب غير المحسوس لنقل الانشغال إلى المقتضيات الكبيرة، فيكبر الهدف وتكبر معه الأعمال والجهود.

ثالثاً: الرمزية العقدية لكيونة الإنسان

يؤكد النورسي أنَّ الكيونة الإنسانية في حقيقتها الوجودية ليست مستمدةً من ذاتها، بل من واهب الوجود، لذا فهي رمز للوجود الحق، ومالكيتها للأشياء وهمية، مؤقتة، وحقيقته ظلية، ثمَّ ضرب الكاتب مثلاً يوضح مقارنة النورسي للأنثى بين الصورة النبوية والصورة الفلسفية، ففي الأولى الأنثى رمز دال على غيره، وفي الثانية معناه موجود في ذاته، ودال على نفسه بنفسه، ولهذا التصور آثار معرفية وسلوكية تنشأ عنه، فأما الأثر المعرفي فيتمثل في شعور الإنسان بأنه من آثار الله تعالى ويرمز بكيونونه إليه وهذا يفيض عليه من الأنوار ما يكشف به عن الحقائق الكونية التي هي ذاتها مطبوعة في الإنسان، أما في الرؤية الفلسفية فمهما اكتشف من علوم مبثوثة في الكون، تتلقفها حواسه وأفكاره فلا يجد في نفسه مادة تُصَدِّقُه وتُنَوِّرُه، وبناءً عليه فإنَّ النَّفس لما تستقبل تلك الإشارات الكونية تُحوِّلها إلى معرفة حق، فلا تشعر بالعجز والاضطراب. ثم كشف عبد المجيد النجار عن آثارها في المجال العقدي والاجتماعي والفلسفي في كلا التصورين، النبوي والفلسفي. في مجال الاعتقاد فإنَّ هذه الصورة تُثمر العبودية لله الواحد الأحد، والغاية القصوى للإنسان هي التخلق بالأخلاق الشرعية، وأما في الصورة الفلسفية فهي ترى أنَّ الغاية القصوى لكمال الإنسانية هي التشبه بالواجب، أي بالخالق مما أوقعهم في أودية الشرك والضلال، فسَدُّوا سبيل العبودية لله تعالى. هذا التصور النورسي للكيونة الإنسانية يُؤلِّد فيها النزوع للمسلك الصحيح معرفياً وعقدياً. (النجار، 2012م، ص5_ص8).

رابعاً: دلالة التكوين على قيمة الإنسان

يرى عبد المجيد النجار أنَّ مفهوم قيمة الإنسان عند النورسي يتحدد في ضوء القراءة الصحيحة لتكوينه في بعده الجسدي والروحي وحتى مع الموجودات الكونية، فله الدرجات العليا من الرِّفعة، وعلى هذه الرؤية المنهجية تبرز قيمة

الإنسان، بالنظر في آيات تكوينه وما فيها من دقة الصنعة، أو ما أُضْمِر فيه من طاقات تجمع ما تفرّق في كلّ الأفاق، نظراً إلى تكوينه المتوافق مع مركبات الوجود. لما فيه من قدراتٍ وطاقاتٍ ولطيفٍ أسرارٍ، تُوحى بأنّه أُعِدَّ لمهمّة كبيرة، فقد كتب الله الكتاب الكوني الضخم في نسخة مصغرة وهي الإنسان، ومن هنا فقد اكتسب مركزية كونية، إضافة لقيمتها التي أكسبتها إيّاها طبيعته الذاتية***.

خامساً: البعد الأخروي في التكوين الإنساني

إنّ النّظر في هذا التكوين ببعد الروحي والمادي يُوحى بأنّه ممتد إلى ما يتجاوز مُقدّراته في هذه الحياة، لذا جعل النورسي البعث في الحياة الآخرة بُعداً من أبعاد التكوين، وركّز على إبراز جانبين من جهات التكوين من حيث دالتهما على الآخرة هما:

- الجهة الأولى

التركيبة الدقيقة للإنسان وما فيه من استعدادات وقدرات على العطاء والكفاءة أكثر مما يحتاجه في هذه الدنيا، إذن فما أُضْمِر فيه من طاقات تكوينية يتجاوز الدنيا. أي: جزء يُصَرَف للحياة المشهودة والآخر للحياة الباقية ومتطلباتها.

- الجهة الثانية

المتعلقة بما هو مُضمَر في النّفس من الآمال والأشواق والمطالب الروحية، فهذه النّفس تنطوي على قدراتٍ تتجاوز عالم الشهادة، فمثلاً: حبّ العلم لا يشبعه المتاع في حياته، فكيف يمكن تفسير هذا التفاوت بين تكوين الإنسان في أشواقه وآماله وبين ما يمكن تحقيقه في هذه الحياة، ويجيب النورسي على هذا بأنّ

*** انظر، بديع الزمان النورسي، عرفان رشيد شريف، جامعة السليمانية، كلية العلوم الاسلامية، مجلة جامعة الانبار، المجلد 7، العدد 28.

هذه دلالة على أنَّ حياته ليست هذه التي تعجز أن تلبي مطالبه وأشواقه، إنَّها الحياة الممتدة إلى وقت الخلود، وهذا في حدِّ ذاته كفيل بخلق الإرادة وتحفيزها للعطاء والعمل بما يُفضي إلى إشباع هذه الأشواق في حياة البقاء. (النجار، 2012م، ص8_ص10).

3. رؤية نقدية ومقارنة بين المقالتيين من منظور الباحث

يعتبر البعد العقدي من أهم المحاور التي يقوم عليها الإسلام، وتُبنى عليه فلسفته، نظراً لأهميته القصوى في التصور الإسلامي باعتباره أساس صلاح الفرد المسلم ومن ثمَّ صلاح المجتمع ككل، لذا فقد ركَّز الإمام النورسي في جُلِّ نشاطاته الإصلاحية والبنائية والمعرفية على هذا المفهوم، وأهميته في حياة الإنسان الذي تتجلى فيه آثار الصنعة الإلهية على حدِّ تعبير النورسي.

ولأجل هذا فقد حاول الكاتبان (الدكتور الشفيع الماحي والدكتور عبد المجيد النجار) أن يرصدا أهمية البعد العقدي والإيماني وعلاقته ببناء الإنسان، حيث أبرزتا أهميته المحورية باعتباره أُسًّا جوهريًّا في فكر الإمام النورسي الذي اتخذته منطلقاً لإصلاح الذات الإنسانية، وكان هذا الأمر هدفاً أساسياً عند كليهما في محاولة جادة لتوضيح هذا الأساس العقدي في فكر النورسي، ورؤيته للإنسان في دلالته العقدية والإيمانية، وإن اختلفت الرؤى والزوايا التي ينظر من خلالها إلى هذا الموضوع إلّا أنَّهما ركَّزا بشكلٍ دقيقٍ على القضايا الكبرى لهذا البعد وتجلياته على الإنسان عند النورسي، إلّا أنَّ عبد المجيد النجار انطلق من الإنسان وعلاقته بآيات التكوين وارتباطاتها العقدية عند النورسي، في حين أنَّ الشفيع الماحي عرض الرؤية الإيمانية عند النورسي، وأبرز من خلالها حقيقة التشريف الإلهي للإنسان، ومن خلال التتبع لما جاء في المقالتيين نكتشف أنَّ كلاهما قد حاولا أن يُقدِّما للقارئ التصور الاعتقادي وعلاقته بالإنسان في الفكر النورسي، وكلاهما

قد عمد إلى الكشف عن دلائل القيمة التشريفية لهذا الإنسان لما اختار هذه الصورة الإيمانية بنفسه، ففارق بذلك كلّ المخلوقات، وإلى ما في أجهزته التكوينية من كنوز وأسرار حكمية تستدعي التأمل والنظر بناءً على ما جاء في الفكر النورسي، وكيف يمكن توظيف هذه الطاقة المعرفية الهائلة في هذا الفكر، واستخراج مكانه للاستفادة منه في بناء الإنسان عقدياً وإيمانياً وفكرياً بما ينسجم مع هذا الدور الذي أُنيطَ به في الحياة الدنيا. وإن اختلفت طبيعة الرؤية بين الكاتبين في تقديم العلاجات المناسبة لإعادة التوازن لهذا الإنسان في متطلباته الروحية والمادية، حيث يظهر أنَّ آليات عبد المجيد النجار كانت أكثر دقة وعمقاً في تقديم معالم هذه الرؤية النورسية بشكل يتَّسم بالمنهجية والربط العلمي الدقيق.

وإنَّ المتتبع لمقال عبد المجيد النجار يرى بوضوح عمق الرؤية لدى الكاتب وأبعاد شخصيته المنهجية وتمرسه في التعامل مع الفكر وأطروحاته، كيف لا وهو من المفكرين الكبار في هذا العصر، والتعامل مع المدرسة النورسية يحتاج إلى آليات فكرية ومنهجية قوية إذ ليس كل شخص مؤهَّل لتفكيك خطاب النورسي وقراءته، لذا فإنَّ الكاتب لم يستعرض فقط تصورات النورسي حول الموضوع وإنَّما أعطاهما بُعداً آخر، كيف يُستثمر هذا المخزون ليُشكَّل فرعاً من فروع العقيدة في قراءة علم الإنسان، لذا فقد عالج الكاتب الاهتمام الكبير لسعيد النورسي ببناء الإنسان في دلائله العقدية، بما يُمكنُنَّا من إعادة صياغته وفق الرؤية القرآنية الكونية في أبعادها، وكان الهدف كيف يمكن توظيف هذه الإشارات والمخزون النورسي لتأسيس علم الإنسان حتى يفتح الباب لاستخراج كنوز هذا الفكر، لهذا ركَّز في البداية على أهمِّ العوامل والموجِّهات التي شكَّلت تصوُّراته حول الإنسان، ثمَّ انتقل إلى البعد العقدي للتكوين الإنساني، والذي يتجلى من خلال الربط

المستديم بين آيات التكوين والدلالات العقدية حتى يصبح هذا الربط ثقافةً ذهنيةً وعمليةً عند المسلم، ثم كشف عن الرمزية العقدية للذات التي لا تعدو أن تكون رمزاً للوجود الحق، لأنّها مستمدة من واهب الوجود، وما يترتب على هذه الصورة من آثار معرفية وعملية، وفي ضوء هذا التكوين وقراءته الصحيحة تتحدّد قيمته وما أضمّر فيه من طاقات ومقدّرات جمعت ما تفرّق في كلّ الآفاق، وختم مقاله بإبراز حقيقة البعد الأخروي في التكوين الإنساني، حيث أنّ الناظر في هذا التكوين الدقيق بكلّ ما فيه من طاقات ورغبات وأشواق هو أكبر من أن تستوعبه هذه الحياة، لذلك جعل البعث بُعداً من أبعاد التكوين، وما أضمّر فيه من مطالب روحية يدلّ على أنّه خُلِق للحياة الأبدية، والمتأمل في هذا المقال يكتشف البعد المنهجي الدقيق لعبد المجيد النجار في تفكيك الخطاب النورسي ومحاولة استثمار هذا المخزون المعرفي للمساهمة في إعادة بناء الإنسان بأبعاده الروحية والكونية والمادية، فجمع في مقاله بين عناصر الجدة والأصالة. لذا فإنّ هذا المقال العلمي قدّم فيه رؤية واضحة المعالم حول أبعاد هذا البناء في الكينونة الإنسانية، حاول من خلاله أن يعالج بنظرة شمولية طبيعة القصور في الذهنية الإسلامية التي تفتقد لآليات التفكير المنهجي الذي يتأسس عليه البناء الإنساني، وضرورة الابتعاد عن التلقائية التي لا تستطيع أن توضح طبيعة هذه البنية وارتباطاتها العقدية ودلائل هذا التكوين على القيمة الوجودية للإنسان، ومن الموضوعية أن نقول أنّ المقال اتّسم بالدقة في الفهم، ومنهجية في الطرح، ودقة في التوصيف، ويظهر ذلك جلياً في استنطاق هذا الفكر للكشف عن معالم البناء الإنساني بأبعاده العقدية والكونية مما وجده منشوراً في رسائل النور، وليس في وسعنا إلّا أن نقول أنّ هذا المقال الهادف مبنيٌّ بطريقة علمية منهجية تبرز عن قدرة الكاتب المبدعة.

أما المقال الثاني للشفيع الماحي والذي كان بعنوان: "البعد الإيماني في فكر النورسي" فقد عالج فيه الكاتب قضيةً جوهريةً كانت تشغل الإمام النورسي ألا

وهي قضية الإيمان كأساسٍ محوريٍّ في العقيدة، لذا حاول الكاتب من خلال إثارة هذا الموضوع أن يكشف عن رؤية النورسي لمفهوم الإيمان ومنطقاته، خاصة وأنَّ هذا الأخير كان هو العنصر المستهدف لتغييبه عن معتزك الحياة، فأراد الكاتب أن يجلِّيَ مركزية هذا المفهوم عند النورسي الذي أراد أن يؤسس هذا المفهوم في مشروعه الإصلاحى، وتحرير الإنسان من الانهزامية النفسية من خلال تقوية الروح والشعور بالاعتداد بالنفس والتكريم الإلهي لهذا المخلوق، ومن النقاط المهمة التي ركَّز عليها الكاتب هي الكشف عن حقيقة هذا المفهوم ومعالمه الكبرى في فكر النورسي، حيث حلَّل طبيعة هذا المفهوم من خلال الكشف عن نسبة المخلوقات إلى الله تعالى "الملائكة والجن" نسبةً ذاتيةً لا اختيار فيها، وأمَّا في حقِّ الإنسان فقد أخذ التكليف بُعداً آخر لأنَّه يقوم على نسبةٍ من الاختيار، فهو مؤمن بفرض الاختيار ومكلف بوصف الاضطرار، وبناءً عليه يُميِّز الكاتب بين الذين انتسبوا عن طريق الاختيار فأصبحت علاقاتهم انتسابية أو بدونه فإسنادية، وهذا الذي جعل الإنسان يكتسب قيمةً كبرى، لأنَّه مجلِّي لآثار الصنعة الإلهية، كما أبرز نظرة النورسي للكافر الذي انتسب إلى الله بوصف المخلوقية، وهي إسنادية قهرية لأنَّه رفض بإرادته إقامة علاقة مع الله تعالى، كما يعطي للكفر بُعداً خطيرةً، حيث اعتبره الأساس في تهديم الجوهر الإنساني، واتهام المخلوقات الأخرى بالعبثية، ثمَّ أوضح طبيعة الكمال الذي ينشده النورسي في أمته والذي يتحقق بنور الإيمان وقوة الروح التي تصبح نوراً وضياءً للإنسان، حيث تتجلَّى في قلبه صفات الله وجلالها، وكلُّ هذا يتحقق بوصف العبودية، ثم عرَّجَ إلى مظاهر الإيمان الذي يتحقق به الكمال النوعي للنوع الإنساني الذي يحقق من خلاله المعنى بكونه نائباً عن الله تعالى، والصفة بوصفه عابداً له، وهذا الوصف هو الذي رشَّحه للكمال،

وفي الأخير أكّد الكاتب على أنّ ذروة الإيمان تكمن في أن يقيم الإنسان علاقته مع الله تعالى على أساس الحب وبوصف المحبوبة.

وإنّ المتتبع بشكل موضوعي لهذا المقال يلاحظ بأنّه يتّسم بالدقة و الجدية في الطرح، وهو يستعرض الفكر الإيماني عند النورسي، حيث سار الكاتب وفق خطة منهجية تكشف عن الخلفية الفكرية المرنة للكاتب، وبشكل منهجي ومتسلسل يطرح الكاتب أبعاد هذه الرؤية بدءاً من التصور الإيماني، وكيف يصبح للإيمان مدلول اجتماعي متحرك في الواقع، ثمّ حلّل أبعاد هذه الرؤية الإيمانية، وكيف يشق نور هذا الإيمان في النّفس العابدة، فتنعكس آثاره على صفحة القلب المؤمن، ثمّ أبرز تجليات هذا الإيمان في واقع الحياة، وبهذا فإنّ الكاتب تدرّج بشكل منهجي في عرض منظومة الإيمان عند النورسي، حيث تبدو للقارئ وكأنّها قطعة واحدة في تسلسلها الفكري ومنطقيتها، بعيداً عن الأسلوب الجاف بما يتناسب و الزخم الروحي في أسلوب النورسي، وانتقاء العنوان والعناصر كان ملائماً جداً ، حيث حقّق الكاتب هدفه من خلال هذا المقال وهو تعريف القارئ بالفلسفة الإيمانية عند النورسي.

لكن مما قد يؤخذ عليه الكاتب بعض التكرار والطول الذي جعل المقال يأخذ صبغة أدبية في استعراض أفكار النورسي أكثر من الصبغة العلمية الرصينة، والتي تمتلك الدقة في المصطلحات وتوظيف الأفكار، كما أنّ الكاتب في هذا المقال لم تبرز شخصيته الفكرية كقوة فكرية مستقلة بمخزونها المعرفي مقارنة مع المقال السابق الذي كان يحمل فكراً توليدياً ، لأنّ الكاتب لم يخرج في عرضه لهذه الرؤية عن النّسق الفكري للنورسي، ولم نلاحظ أي تعليق أو ربط لهذه الرؤية بواقعنا اليوم، ولكنّ هذا الأمر قد يتعرض له أيُّ كاتبٍ عادةً إذا تعامل مع كبار المفكرين فكيف بالمدرسة النورسية. كما أنّ الدارس لمؤلفات النورسي وخاصة رسائل النور بترائها الروحي والمعرفي يكتشف أنّ المقال لم يُقدّم الرؤية النورسية

بأفاقها الشمولية خاصة في محور الإيمان، وإنَّما قدَّم شذراتٍ ولمحاتٍ لهذه الرؤية، وإن كان العنوان مناسبًا وقد أدَّى الغرض المطلوب. ومن الموضوعية أن نقول أنَّ المقال كان دقيقاً من حيث النظر والتوصيف والعرض المنهجي، وإنَّما لم يتدخل كثيراً الكاتبُ بوعيه وفكره في صناعة أفكار جديدة بناءً على رؤية النورسي، وإعطائها دلالاتٍ أخرى قد تُؤلِّد أفكارًا جديدةً مبطونةً في فكر النورسي وخاصة الإيمانية منها، ولم يُقدِّم لنا رؤيته كيف يمكن أن نستثمر هذه العلاجات الروحية في واقع الأمة اليوم.

6. قائمة المراجع

1. الماحي، أحمد الشفيق. (1999 م، ديسمبر). "البعد الإيماني في فكر النورسي". مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت، المجلد 14، (العدد: 39 1999). الرابط: <http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/jsis/homear.aspx?id=8&Root=yes&authid=728>
2. النجار، عبد المجيد. (2012م، 1، يناير). "البعد العقدي لبنية الإنسان في فكر النورسي". مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، (العدد: 5). الرابط: <https://dergipark.org.tr/en/pub/alnur/issue/1668/20658>
3. - موقع المكتبة الشاملة
<https://shamela.ws/index.php/author/40>
4. العقاد، عباس محمود. الإنسان في القرآن، (د.م: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).
5. النجار، عبد المجيد. خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1987م).
6. توشهكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، تحقيق: هلال محمد الجهاد، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007م).
7. بديع الزمان النورسي، عرفان رشيد شريف، جامعة السليمانية، كلية العلوم الإسلامية، مجلة جامعة الانبار، المجلد 7، العدد 28.
8. تأليف جمال الدين فالح الكيلاني بالاشتراك مع زياد حمد الصميدعي، بديع الزمان سعيد النورسي (قراءة جديدة في فكره المستنير) -- الناشر دار الزنبقة - القاهرة 2013.
9. آلاء يوسف جمعة المصري، اليوم الآخر في رسائل النور، دراسة نقدية، إشراف نسيم شحدة ياسين، بحث ماجستير بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة. 2017.
10. الأنصاري، فريد، بديع الزمان سعيد النورسي من برزخ التصوف إلى معراج القرآن جامعة موالى إسماعيل - مكناس المغرب، بحث ألقى في الورشة العلمية التي أقامتها مؤسسة الثقافة والعلوم بإسطنبول حول التصوف وسعيد النورسي في 16- 17 / 07 / 1001.